

أيام وليال رمضان في حيدرآباد الهند

أ.د. سيد جهانغير^١

الملخص

الهند عالم صغير لجميع الديانات والثقافات الموجودة في العالم، ومن أعجب العجائب أن كل هذه الثقافات تعيش في تألف وانسجام. أما مدينة حيدرآباد التي نحن بصددنا فهي الهند الصغرى حيث تقطن كل الثقافات والديانات الهندية الموجودة في الهند، بجانب هذا توجد أكبر جالية عربية في حيدرآباد بكل سماتها دون تعرضها لأي أذى في المجتمع الهندي، وهذا الأمر هو الذي حث السيدة إنديرا غاندي - رئيسة وزراء الهند السبقى - أن تفتخر وتعزّز بأنها توجد جالية عربية أو دويلة عربية في الهند، وهي مدينة حيدرآباد، وذلك أثناء إحدى رحلاتها إلى الدول العربية. وهذه المقالة حول الأعمال والأفعال في أيام واليالي التي تشغل فيها حيدرآباد خلال شهر رمضان

الكلمات الدليلية: حيدرآباد، استقبال شهر رمضان، مأكولات ووجبات،

عيدية

قبل الخوض في الحديث عن مدينة حيدرآباد الهندية يطيب لنا أن نوجز خلفية عن الهند التي أغدقها الله تعالى بنعم جمة لا تعد ولا تحصى، ويكفي أن نذكر عن أهميتها منذ الزمن الغابر الذي كانت فيه الهند سوقا مركزيا وملتقى القارات والحضارات في العالم، وكانت مصدرا وحيدا للعالم كله لاحتياجاته

١ أستاذ اللغة العربية وأدائها عميد كلية الدراسات العربية والآسيوية (س) ورئيس قسم الدراسات العربية، جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية الحكومية الوطنية، حيدرآباد، الهند، ومؤسس وخادم جامعة الحرمین الشريفین العربية الإنجليزية الإسلامية النموذجية. ورئيس تحرير صحيفة حراء العربية و الأردنية

العديدة المتنوعة مثل الخشب و البهارات .

وإذا عزمنا على التحدث عن ثقافتها الإسلامية بمقارنتها مع الولايات والمدن الهندية الأخرى فنستطيع أن نذكر دون أدنى تردد أن مدينة حيدرآباد هي عاصمة الثقافة الإسلامية دون منازع، والسبب الرئيس الذي يبوؤ حيدرآباد هذه المكانة المرموقة هو أنها إحدى المدن الوحيدة الكبيرة بعد كلكتا ودلهي وشنائي وبنغلورو التي قام بتأسيسها وإنشائها عاهل مسلم يعتبر من أتقى الملوك وأورعهم في الهند حيث لما أراد الملك تأسيس مسجد جامع بالمدينة إيدانا بإنشاء مدينة جديدة عرفت بحيدرآباد خارج سور حصن غولكنده، أعلن الملك أنه يريد أن يقوم بوضع حجر أساس المسجد الجامع من لم تفته التكبيرة الأولى لصلاة الفجر بالجماعة منذ أن بلغ الحلم، فبثّ الخبر في طول البلاد و عرضها بحثا عن رجل يوجد فيه الشرط المذكور ليتم وضع حجر أساس الجامع الجديد، ولما مضت المدة المحددة من الزمن ولم يتقدم أحد، تقدم الملك الصالح وقال تحديثا بما أنعم الله عليه : إني لم تفتني التكبيرة الأولى لصلاة الفجر بالجماعة منذ أن بلغت الحلم، فتقدم الملك وتشرف بوضع حجر أساس الجامع، والجامع مكة الذي قام بوضع حجر أساسه الملك قلي قطب شاه المنتهي للقطب شاهية ما زال أحد أكبر وأبرز معلم حضاري إسلامي ليس في حيدرآباد فحسب، بل في الهند كلها، ويتسع الجامع لأكثر من عشرة آلاف مصل، ويجدر بالذكر هنا بهذه المناسبة أن معلم شار مينار الواقع بجوار الجامع مكة يعتبر واحدا من أكبر المعالم الحضارية الإسلامية في الهند، والمراد من شار مينار وهي كلمة أردية معناها بالعربية أربع منارات، وهذه المنارات للمسجد الذي يقع بالدور الأول لعمارة المعلم الضخم، وبمعنى آخر فإن المعلم كله عبارة عن مسجد، وهناك عشرات من المعالم الأثرية المسلمة التي تنبئ عن وجود المسلمين بكثرة كثرة في حيدرآباد، ولكي لا أطيل أكتفي بهذا القدر من الإيجاز .

تزيين المساجد

بالنسبة إلى الموضوع الذي نحن بصدده، أي مدينة حيدرآباد وشهر رمضان الكريم بها، فرمضان وقدمها الميمون يعتبر أكبر وأسعد اللحظات التي يحتضنها الحيدرآباديون بين زغاريد الفرح والسرور ليقضوا أزهى أيامها ولياليها وسط النفحات الإلهية والعادات الرمضانية، ويرحبون به بصرف الغالي والنفيس، فمن أبرز الظواهر والملامح لاستقبال رمضان في الأوساط الاجتماعية المسلمة هو الإقبال بكل اهتمام بالغ وعناية فائقة على إجراء أعمال الترميمات والصيانة للتجهيزات والأجهزة والتبييض والدهانات من قبل اللجان الإدارية للمساجد، وتزيينها وتوفير سبل الراحة لمرتاديها ضيوف الرحمن، وتجديد السجادات إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وأخذت تجمل المساجد بأحدث الوسائل وفق الإمكانيات المتاحة لمواكبة الزمن نحو تغيير السجادات الناعمة بدل السجادات التقليدية الخشنة، وتنصيب المكيفات بدل المراوح وبرادات الهواء، وبرادات المياه بدل الجرار، وما إلى ذلك، كما يتم تنظيف أحواض الوضوء المنشأة المتوارثة منذ قديم الزمان، والتي تشابه أحواض السباحة المعاصرة.

ملخص القول إن قدوم شهر رمضان الكريم يكون فرصة سانحة لتجديد حلل المساجد لتصبح أكثر جاذبية لمرتاديها.

المأكولات والوجبات الرئيسية

وبخصوص الاستعداد من ناحية الأكل والشرب في الشهر الفضيل، فإن رمضان الكريم هو فرصة سنوية يغتنمها أصحاب المطاعم والفنادق، ويوفرون أصناف الأطعمة وأنواع الوجبات الشهية التي تجذب الزبائن وغيرهم ليكسبوا أكثر الأرباح في الشهر الكريم، فأول ما يقوم به أصحاب المطاعم والفنادق هو تركيب

الطناجير النحاسية استعدادا لتحضير وجبة الهريس والحليم كل مساء في أيام رمضان المبارك، فالهريس يعتبر أفضل وجبة للإفطار، ويميل إليه الصائم مهما غلا سعره، فلا يمكن للصائم الحيدرآبادي أن يتخلى عن تناول الهريس إثر أداء صلاة المغرب، كما أن عملية تحضير الهريس تتطلب مهمة صعبة لا يواكبها إلا من احتراف تلك العملية التي تستغرق من خمس إلى سبع ساعات لتحضير طنجرة كبيرة تتراوح بين خمسين وستين كيلوا جراما، أما المكونات التي تستخدم في تحضير الهريس أو الحليم فهي القمح ولحم الماعز أو الكبش أو الدجاج والبهارات، كما أن وجبة الهريس أصبحت محط أنظار الشركات الإعلامية، حيث أخذت تعلن الجوائز لأفضل جودة، فأصبحت وجبة الهريس صناعة محترفة في شهر رمضان الكريم، والهريس وجبة غنية مليئة بالبروتين والغذاء الدسم، وبجانب الهريس هناك وجبات خاصة أخرى تعد لمائدة الإفطار، منها دهي بدهي (Dahi wady) وهي عبارة عن طحين العدس، يحول إلى عجينة، ويقلى بالزيت ويغمس في اللبن الزبادي، ويعتبر من ألد الوجبات، وهي تساعد في تقليل العطش لاحتوائها على اللبن الزبادي، وهناك وجبة أخرى تعرف بدال، وهي عبارة عن عدس يترك غامرا في الماء لساعات، ثم يغلى ويضاف إليه بعض بهارات والكزبرة للنكهة، فهي وجبة شهية تعتبر من أساس مائدة الإفطار التي توفر ما يريد الصائم وقت الإفطار، ومن الوجبات الرئيسة الأخرى المقدمة لمائدة الإفطار الفواكه المشكلة المقطعة بقطع صغيرة، وتضاف إليها بعض بهارات للنكهة وتكون غنية بالفيتامينات، كما يجدر بالذكر أن التمور هي فاتحة الصوم، ولا يمكن أن يتصور الإنسان مائدة الإفطار من دون وجود التمور، ومدينة حيدرآباد تستورد آلاف الأطنان من التمور، والتي لها سوق يقبل عليها بشدة، مهما تكن إمكانات الإنسان لا يمكن أن يتناسى اقتناء التمور، فكل مسلم يقتني التمور وفق إمكاناته حيث تباع أنواع التمور ويتراوح سعرها بين

مائة وخمسمائة روبية، ولكن لا تحول الأسعار وارتفاعها دون اقتنائها، ويجانب هذه الوجبات لا يمكن للصائم الحيدرآبادي أن يستغني عن السوائل المتنوعة، فيوفر لنفسه و لأفراد العائلة أنواعا من العصائر والمشروبات، فهناك عصير البرتقال، والأناناس والتفاح والبطيخ الأخضر (حب حب)، ومن المشروبات المنعشة شربت روح أفزاء المصنَّع من شركة همدر كبرى الشركات المنتجة لأدوية الطب الإسلامي، ومن ميزات موائد الإفطار أن المسلم لا يعد كل هذه الوجبات لنفسه، بل يهدي إلى ذو قرباه وجيرانه، وإلى الصائمين بمسجد الحارة، ويعتبره من أفضل الأعمال إلى قلبه.

الاستعداد لاستقبال رمضان المبارك

إن الدخول إلى رمضان تسبقه رؤية ثبوت الهلال، وهي عملية اعتيادية للجنة رؤية الهلال التي تجتمع في آخر يوم من كل شهر للتقويم الهجري، فهكذا تجتمع وتتحرى رؤية الهلال، فإذا تمكنت اللجنة من الرؤية يتم فوراً إبلاغ وسائل الإعلام التي تقوم بدورها بإبلاغ من يتصل بها من اللجان الإدارية للمساجد والجوامع، وعند ذلك تقوم إدارات المساجد بتشغيل الصافرات الكهربائية المركبة بالمساجد إعلاناً بثبوت رؤية الهلال وإعلام مواعيد السحور والإفطار يوميا، وإثر ذلك يتوجه المصلون إلى المساجد لأداء صلاة العشاء والتراويح، وفي حال عدم ثبوت رؤية الهلال تتصل اللجنة بالمدن المجاورة والقرى المتلاصقة للاطلاع على ثبوت رؤية الهلال، وفي حال عدم تلقي الخبر تبلغ اللجنة لإكمال الثلاثين من شهر شعبان.

إقامة المحاضرات والحفلات الدينية

إن المؤسسات الخيرية والتعليمية الإسلامية التي تبحث عن فرص لإقامة حفلات دينية لإرشاد عامة المسلمين في شتى قضايا الدين، فقبل قدوم رمضان يقيمون حفلات دينية لتوجيه الرجال والإناث في قضايا تواجههم، كما تستمر هذه

الحفلات والمحاضرات طيلة شهر رمضان حيث تقوم بتعريف وتعليمهم مسائل الصيام والزكاة، وصدقة الفطر، وليلة القدر، وفضل تلاوة القرآن الكريم، كما لا تتخلف اللجان النسائية أيضا عن توفير فرص لتعليم النساء مسائل الصيام وما يتعلق بالشهر الفضيل.

إصدار الملاحق الدينية عن رمضان

إن أكثر من خمس صحف يومية تصدر بالأردنية، وتقوم بإصدار ملاحق إسلامية كل يوم جمعة، إضافة إلى إصدار ملاحق إسلامية كل يوم تقريبا للتعريف بمسائل تتعلق بالشهر الفضيل والقرآن الكريم وغيرها، كما لا تتخلف قنوات التلفزيون عن السباق بهذا المجال، فهناك قنوات أردنية تقوم ببث برامج مكثفة عن الإسلام وعن رمضان وقضاياها.

صلاة التراويح

إن منطقة حيدرآباد تهتم بشهر رمضان اهتماما بالغا، صيامه نهارا، وصلاة التراويح ليلا، كما أن لجان المساجد الإدارية تتبنى مسؤولية تعيين حفظة القرآن الكريم لتلاوته وإكماله في صلاة التراويح، فكل مسجد يعين وفق ميوله، فمنهم من يعين حملة القرآن لإكمال القرآن الكريم إلى نهاية الشهر بمعدل جزء وربع جزء كل يوم، ومنهم من يعينهم لتلاوة ثلاثة أجزاء يوميا لإكمال القرآن الكريم في عشرة أيام، ومنهم من يعينهم لإكماله في خمس ليال بمعدل ستة أجزاء في الليلة الواحدة، ومنهم من يعينهم لإكماله في يومين بمعدل ١٥ جزءا في اليوم الواحد، ومنهم من يعينهم لإكماله لإكماله في الليلة الواحدة، وهناك حافظ يكمل القرآن كله في ركعة واحدة في الليلة الواحدة، علما بأن عدد ركعات التراويح المتداول في مدينة حيدرآباد هو عشرون ركعة، وإذا انتهى الحافظ من تلاوة القرآن الكامل في الموعد المحدد يتم إهداؤه بشكل المبالغ تتراوح بين عشرة وعشرين أو أكثر.

صلاة التهجد

وإذا مضت عشرون ليلة من الشهر الفضيل بدأ المسلمون بإحياء ليالي العشر الأواخر من خلال إقامة صلاة الليل أو ما يعرف بصلاة التهجد، ويتلو حملة القرآن ثلاثة أجزاء كل ليلة ليكملوا القرآن كله في عشرة أيام أخيرة، كما يوفر معظم أصحاب التبرع للمصلين المشاركين في صلاة التهجد وجبة السحور.

إقامة مآدبات الإفطار

وإذا مضت العشرة أيام الأولى من رمضان يقيم الناس ولائم الإفطار بإخلاص وحب أملا في الأجر والمثوبة، مجسدين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من فطر صائما ..، وإن إقامة ولائم الإفطار أصبحت ظاهرة شائعة تقوم الأحزاب السياسية والاجتماعية ورجال الأعمال، ومديروا الشرطة والوزراء وولاة الأمور وغيرهم، فتقوم بتفطير الصائمين المسلمين، ويشارك فيها غير المسلمين برغبة، ومن ثم يستضافون بوجبات شبيهة غنية من برياني ولفيف من الحلويات، واشتهرت مدينة حيدرآباد بولائم الإفطار لكثرتها.

العشرة الأخيرة

وإذا انقضت عشرين من رمضان وبدأت العشرة الأخيرة ازداد المسلمون إنفاقا وتصدقا في سبيل الله حيث إنهم يستعدون لأداء زكاة أموالهم في رمضان الكريم، فلا يتركون فرصة إلا ويستغلونها لفعل الخيرات ومساعدة ذوي الحاجات من الأقرباء والمسلمين وطلاب العلم والمؤسسات التعليمية الخيرية التي تكفل الطلبة وتوفر لهم تعلم العربية والعلوم الإسلامية حيث توجد آلاف من الجامعات والمدارس والمعاهد والمراكز الإسلامية العربية التي تقوم بتوفير وجبات الأكل والتعليم مجانا لسنوات عديدة للطلبة المسلمين.

حشود المسلمين في المساجد

إذا أقبل شهر رمضان بادر المسلمون إلى المساجد، فأفضل عمل لدى كل مسلم هو قضاء معظم أوقاته في المساجد، إما تاليا القرآن الكريم، وإما ذاكرا لله تعالى، وخاصة أن المساجد تعج وتمتلئ بالمسلمين في مواقيت الصلوات الخمس، كأن الناظر يتخيل كل وقت أنه يوم الجمعة.

التسوق في رمضان الكريم

إن شهر رمضان يعتبر من أنفع المواسم لتجار الأقمشة والخياطين وتجار الأطعمة ومحلات الإكسوارات وغيرها حتى إن محال الأقمشة تفتتح في رمضان لجذب أكبر عدد من الزبائن عن التخفيضات والتنزيلات لجذب أكبر عدد ممكن من الزبائن، ويقال: إن المبالغ التي يصرفها المسلمون في رمضان وحده تبلغ إلى مليارات من الروبيات.

تحول الليالي نهارا

إن قدوم رمضان يحوّل الليالي نهارا، ولا سيّما الليالي في العشرة الأخيرة تكون المحال مفتوحة على مدار الساعة، وخاصة في المدينة القديمة حيث يكتظ المسلمون، وتتسوق النساء وغيرهن طيلة الليالي، فهذا ظاهرة سلبية، إذ يقضي المسلمون أفضل الأوقات في شر البقاع وأسوأ الأماكن (الأسواق).

تجديد المنزل من الأثاث واقتناء الأواني الجديدة

لا يوجد منزل مسلم لا يستقبل ضيوفا له، فاستعدادا لاستقبال ضيوفه يعتني بترميم وتبييض وصيانة وتأثيث المنزل عندما تمس الحاجة، كما يجدد أواني المنزل إذا احتاجت إلى ذلك، لأنه يحتاج إلى أواني خاصة لتقديم وجبة الشعيرية وغيرها من الطعام إلى ضيوفه.

احتفال ليلة القدر

تعتبر ليلة القدر - التي هي خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله - غنم يغتنمها كل مسلم ليحظى بما فيها من الأنوار والبركات والخيرات، ومنذ وقت مبكر في المساء يتوجه المسلمون إلى المساجد لإحيائها، فيقضون الليل كله تالياً أو ذاكراً أو مسبحاً ومهللاً، أو مستمعاً إلى الخطب الدينية التي تلقى بهذه المناسبة، كما تزين المساجد بأنوار الزينة.

ليلة عيد الفطر

فإذا كانت ليلة عيد الفطر المبارك، فإن أول عمل تقوم به كل أسرة بعد ثبوت رؤية هلال العيد هو تخصيص فرد من أفراد العائلة لاقتناء الحليب، لأن الحليب له أهمية كبيرة لدى مسلمي مدينة حيدرآباد، ويتخيل أنه لو لم يكن الحليب فليس يحتفل بعيد الفطر، ولأهمية الحليب في عيد الفطر تقوم الحكومة بعمل مراكز لبيع الحليب في شتى حارات المدينة، فإذا حصل على الحليب فقد حقق أكبر إنجاز في سبيل استعداده للعيد، وقد نجده في تحضير أهم وجبة ليوم العيد، كما أن الشعبية تعد من الوجبات المفضلة لدى الأطفال، فلا يتركون فرصة لتذوق الشعبية أينما حلوا ودبوا في أيام العيد.

يوم العيد

وفي صباح يوم العيد نجد أول نشاط يقوم به كل واحد من أفراد الأسرة هو الاستحمام بأسرع ما يمكن، وارتداء أفضل ما يتوافر لديه من الملابس النظيفة واستخدام أجود أنواع العطورات، ومن ثم التوجه إلى المصلى أو الجامع أو المسجد حيث تؤدي صلاة العيد في حيدرآباد في المصلى والجوامع والمساجد عامة، وفي أوقات مختلفة، فلا يحتاج إلى أن يسرع، فتؤدي الصلاة من الساعة الثامنة حتى الساعة العاشرة أي قبل الزوال.

وإذا انتهى من الصلاة فإنه يقوم بتبادل التهاني والتبريكات مع كل من قابله في المصلى وزيارة منازل من هم أكبر منه سناً، وتستمر هذه السلسلة إلى ثلاثة أيام.

العيدية

إنها أحلى ظاهرة متوارثة وهي مطالبة الأطفال من الكبار لتقديم العيدية، وهي عبارة عن نقود يقدمها الكبار الأقرباء، ليس عامة الناس للصغار، فيعتبر الأطفال هذه المهمة من أكبر المهام خلال أيام العيد، وهي ظاهرة تدخل الحماس والنشاط في قلوب الصغار بنين وبنات.

تبادل تهاني العيد

هناك ظاهرة حسنة متوارثة يشارك فيها المسلمون وغيرهم، وهي حفلات تهاني العيد التي تقام من قبل مؤسسات اجتماعية وتسمى بالأردو عيد ملاب تقرب أي حفلة لقاء العيد.

ملخص القول إن قدوم شهر رمضان الكريم يأتي بالخير الوفير الذي يعم المجتمع المسلم وغيره، ويدخل الحماس والنشاط في نفس كل إنسان، ويعتبر شهر رمضان من أسعد الأوقات وأشرف اللحظات لكل فرد من أفراد المجتمع من دون تمييز بين ديانة وديانة حيث إن الهندوس ينتظرون قدوم الشهر الفضيل الذي يوفر لهم فرص الالتقاء عبر حفلات ولائم الإفطار وتبادل تهاني العيد، فيحتفل الجميع بعيد الفطر بكل سعادة وسرور وغبطة وحبور .

وكل عام وأنتم بخير من العائدين الفائزين عساكم من عواده.